وقد اهتم كثيرا بأخبار الأنبياء والمرسلين وما يتصل بهم فأورد كثيرا من قصصهم على نحو ما نجد فى قصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى ويوسف ومريم - عليهم السلام -، وقصص عاد وثمود ومدين ولوط، وقصص أصحاب الجنتين والكهف وذى القرنين وغيرهم.

لكن ذلك كله لم يخل من تسلل بعض الإسرائيليات إليه باعتراف ابن كثير نفسه بذلك، وتنبيهه إلى ضرورة أخذ الحيطة فى هذا المقام.

وقد قلنا إن له خبرة بعلم الرجال والحديث، وله تآليف فى هذا المجال، لهذا فإنه ينظر فى الأحاديث الشريفة نظرة مدققة وينبه على غير الصحيح منها، لأن منهجه فى النصوص منهج دقيق، إذ يتحرى الدقة دائما فهو لا يوردها كما هى. بل يبين ما فيها من صحة أو حَسَن أو ضعيف أو غرابه، إلى آخر ما هنالك فى مجال تصنيف الحديث.

وقد قل اهتمامه بالمباحث الكلامية مما يشغل علماء الكلام من قضايا ومشكلات، فهو - من هنا - يختلف مع صاحب الكشاف، الزمخشرى المعتزلى، ومع الفخر الرازى السنى، بل إنا نراه يتحاشى مناقشة مسائل العقيدة مثل: القضاء والقدر، والخير والشر، والمنزلة بين المنزلتين، والتحسين والتقبيح العقليين، ومسألة العدل الإلهى، والثواب وارتباطه بالعمل، فى حين أننا نجد كثيرا من كتب التفسير تهتم بهذا الجانب كثيرا وتوليه جانبًا كبيراً من عنايتها واهتمامها، وإن كان ذلك لم يمنعه من التعرض لبعض المباحث الكلامية إجمالاً وبإيجاز شديدين، وذلك إذا كان بصدد الدفاع عن مذهب المحدثين وتفسير ما يورد من أحاديث نبوية شريفة، ذلك أن تفسير القرآن الكريم بالقرآن فيه ما يغنى عن ذلك كله، وذلك أن هذه المباحث الكلامية جديدة ودخيلة على تفسير القرآن، ولم ترد فيما أثر عن الرسول - ﷺ -.

وهو يعرض للأحكام الفقهية كثيرا بذكر آراء الفقهاء ولا يمنعه ذلك من إيراد بعض آرائه الخاصة فى كل قضية مثارة.

أما موقفه من الإسرائيليات، وقد أوجزنا الإشارة إليه منذ قليل فى صدر حديثنا، فإنه قد قسمها إلى ما تباح روايته وإلى ما لا تباح روايته، فما علم صدقه قبلناه، وما تبين كذبه رفضناه، وما هو مسكوت عنه توقفنا فيه. والحق أن هذا يفتح